

تدريس الأمازيغية: تجربة خاصة

٠٣٧٢٨١ +٢٠٦٤٦٤ +٢٠٦٤٦٤ +٢٠٦٤٦٤

إدريس وادو

استاذ بمجموعة مدراس بن صميم - إفران

مع ظهور الميثاق الوطني للتربية والتكوين فتحت الأبواب بشكل رسمي أمام ولوح الأمازيغية المؤسسات التعليمية. أول ما وزعت استماراة تدريس هذه المادة، انخرطت بشكل تلقائي في العملية. جاء تكوين 2003 غنيا بكل شيء إلا الجانب المنهجي، ولعل استفادتنا المهمة كانت اكتساب حرف تفيناغ، لأنها الأداة الرئيسية لتمرير الخطاب التربوي للغة ظلت شفوية حتى وقت قريب.

مع الدخول المدرسي لسنة 2003/2004 كان الانطلاق، وكنت ضمن المحظوظين لتدريسها بمجموعة مدارس بن صميم بنيابة إفران ضمن عشر مؤسسات مختارة. كان المستوى الأول لفرعية أية عقوب يستقبل التلاميذ الناطقين بالأمازيغية بفروعها الثلاثة، بالإضافة إلى بعض غير الناطقين بها.

استجابة لبنود الميثاق، ركزت على ترجمة نصوص التعبير إلى الأمازيغية لتسهيل تحصيل دلالاتها وبنيتها، مع احترام الخصوصيات الثقافية المحلية في انتظار التوصل بالمنهاج الدراسي. وقد نقلات القناة الثانية وقتذاك هذه الصورة ضمن برنامج "Grand Angle" تحت عنوان "علماني الأمازيغية".

سرعان ما ظهرت دفاتر "الله الله" التي زودت المدرس بمنهجية تدريس اللغة، موظفة اللغة المعيار، مما استلزم الرجوع إلى المعجم المصاحب لتذليل الصعاب. مع انطلاق الدرس المنتظم ضمن المرجع المشار إليه، حدث ما لم يكن في الحسبان، إنه الإقبال غير المشروط لكل المستويات الدراسية والرغبة في إعادة اكتشاف اللغة الأم، كان الدرس يقدم للمستوى الأول وسرعان ما يُقبل المستويات- التي ستلتحق بالأقسام في الحصة الموالية. لاسترافق السمع وأخذ اللغة عبر باب ونواذف القسم. الأمر الذي عاينه ممثلا المعهد عن كثب عند زيارة المنطقة.

ظهر كتاب "الله الله" للسنة الأولى بكل المواصفات التربوية واللغوية وظهرت معه بعض الإشكالات التطبيقية المرتبطة باللغة تارة وبالمنهجية تارة أخرى، وذلك نتيجة ضعف الرصيد اللغوي لدى المدرس الناطق أو غير الناطق. وهذا ما استلزم تكثيف الجهود بحثاً عن الحلول. تصادفت الإرادات بين العناصر الفاعلة في الحقن التربوي بمدينة أزرو من مدرسين ومدراء مؤطرين، فقررنا تأسيس جمعية مدرسي الأمازيغية "المجلس الأعلى للأمازيغية" لتنزيل الصعاب وتبادل الخبرات، فقدمت أول نشاط إشعاعي بشراكة مع جمعية مدرسي الاجتماعيات بتاريخ 21/03/2004

نتيجة للدروس المقدمة أمام مجموعة من المؤطرين والأساتذة فتحت الجمعية أبوابها لتنفتح على الأمازيغية للناطقين بها، ولمحاربة الأممية لغير الناطقين بها، وذلك انطلاقا من سنة 2004، تحت إشراف النيابة الإقليمية لوزارة التربية الوطنية. قدمت مجموعة من الحصص مدرجاً الأدب الأمازيغي كرافد لتمرير اللغة مما أعطى نتائج طيبة، ساهمت في إثراء الأداء التربوي السليم لتدريس الأمازيغية.

انتقلت التجربة إلى تهئي الدروس المصورة للأطر قصد الاستئناس بها إثر التكوينات المزعّم إنجازها تحت إشراف الوزارة الوصية والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مما زاد من الحماسة في المزيد من الجهد والمثابرة.

مع حلول سنة 2005، توسيع النشاط التربوي ليقتصر على المؤسسات الخاصة من جهة، وجمعيات المجتمع المدني التي تعنى بالثقافة الأمازيغية من جهة أخرى، فكان تأطير الشعراء والفنانين بالأطلس عبر دورات تكوينية، مما أنتج تحولاً محموداً لخدمة المجال التربوي عبر تأثير الأنشودة، والتفتح على مفاهيم الحداثة بكل تجلياتها كتمرين الذات واحترام البيئة وإعادة الاعتبار للمرأة... خلال هذه السنة

حصلت على تكريم المعهد الملكي من خلال جائزة التربية والتعليم برسm سنة 2005 ضمن ثلاثة من الأصدقاء.

توسيع تدريس الأمازيغية عموديا ليصل إلى المستويات الموالية. بدأت أشتغل على باقي المستويات لإغناء رصيدي المعرفي واكتشاف أساس بناء مناهج تدريس اللغة، حيث وجدت بعض الصعوبات مع تلاميذ السنة الثانية نتيجة كثافة المادة من جهة، وتوسيع الرصيد اللغوي من جهة أخرى، وهذا ما فلص زمن التداول الشفهي وأدى بالتالي إلى ضعف المرودية. وقد تم تجاوز هذا الأمر مع المستوى الثالث إذ وجدت التعميد المساعد على بناء اللغة، وتلاميذ ناطقين شغوفين بالتفاعل مع اللغة الأم.

ثم دخلت تجربة الكتاب المدرسي مع تحرر الكتاب، إلا أن الحظ لم يحالف الإصدار بالمستوى الأول ولا زلت أنتظر مصير التجربة بالمستوى الثاني. لقد كانت تجربة التأليف رائدة فتحت الباب أمام تكوين حقيقي من جهة، وربط علاقات مع أطر من الشمال والجنوب من أساندنة ومؤطرين خصوصا من ورزازات وتارو دانت وبركان والناظور والرباط ومراكنش إضافة للزملاء بمنطقة الوسط.

مع حلول سنة 2006، توسيع مهمة تدريس الأمازيغية من داخل المؤسسات التعليمية إلى خارجها مع فتح أقسام لتفتح على الأمازيغية بمعية جمعية تايامات لفنون الأطلاس "405084 1 + 05204" حيث التحق الفنان الأمازيغي للتسلح بحرف تفيناڭ، كما عبر عنه برنامج "توبقال" بالقناة الثانية بنفس الموسم. ثم أصبحت أدرس الأمازيغية لبناء دار الطالبة القائدات من المناطق المجاورة لازرو، وقد لقيت هذه تجربة نجاحا باهرا. كما أن العمل على محاربة الأممية للأطر المحلية خصوصا قطاع المياه والغابات فتح الطريق أمام قطاع الشبيبة والرياضة. ثم التحقت بالمخيمات لنقدم حرص الأمازيغية صحبة أفراد من الجمعية بشراكa بين جمعية مدرسي الأمازيغية والمنتزه الوطني لإفران والشبيبة والرياضة وهيئة السلام الأمريكية.

فتحت النيابة الإقليمية الباب أمام الجمعية مما أعطى دفعa مهمة لأداء الأنشطة التكوينية والموازية لترسيخ تدريس الأمازيغية، الأمر الذي قدمته النيابة بالمعرض الوطني للتربية والتعليم كمادة تربية باسمها أمام المحفل الوطني.

لم يقتصر تدريس الأمازيغية على الدروس اليومية بل وظف الحوامل التربوية لإثراء مدارك التلميذ وتحبيب المادة له من خلال قراءات شعرية ومسرح وأناشيد ومسابقات في الكتابة. هنا دخلت مرحلة كتابة الأناشيد، قدمت العديد منها في لقاءات محلية حول التربية الموازية. كما قدمت قصائد حدايثة بالأمازيغية في لقاءات شعرية كبرى أمام شعرا مغاربة وأجانب خصوصا من الشرق العربي. تطور عملي داخل جمعية مدرسي الأمازيغية فصورت درسا ضمن فيلم قصير حول اللغة بالأمازيغية تحت عنوان "80+ 050+ 040+ 040" وهو إنتاج محلي مئة بالمائة.

أملى كبير أن أحظى بمعية الزملاء الراغبين في تدريس الأمازيغية بتكون شامل بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ولو في العطل البيئية أو الصيفية، لتذليل الصعاب وتبادل الخبرات بعيدا عن نقاشات المسؤولية التنظيمية، لأن تجربة المعهد غنية جدا، خصوصا وأن الكتب التي أصدرها تمرر الخطاب التربوي بشكل سلس عكس ما لاحظناه مع الكتب التي صدرت بعد تحرر الكتاب، لذا نأخذ نموذج «44+ 040+ 040+ 040» المقرر بنيابتنا والذي يفتقر إلى المرونة في ترسيخ اللغة عن طريق تثبيt الأساليب، مع الاحترام الكبير للإخوة المؤلفين.